

دبكة الموت

مستنشقة الهواء المطلي بدم اخوتي
تشتد حرارة القصف المركز
تهرع امي الى الظل
وما من ظل هناك سوى ظل صليبك
ما من ظل هناك ، يا طانيوس شاهين
سوى ظل صليبك
نور لبنان تحدجنا باحتقار
من قمم شاربك
أما وجهك النبوي فقد مال قليلا
على صدرك الكث
باشجار الارز العتيقة
تضرع امي من بين دموعها :
أما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ !
غير ان رجال الغلانج لا يسمعونها
في غمرة نيرانهم المنصبة على اللغة العربية
انهم يحلمون باللغة الفرنسية
ويطلقون النار بالفرنسية ..
(بون جور ايها العار !)

لف لي سيجارة يا طانيوس شاهين
أنا قادم لاشمت معك
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
بحجل صنين الهارب من الموت
الى متاريس صهيون على جبل الشيخ ؟
بالظل المتكسر ؟ بالضوء المتكسر ؟ بالقلب المتكسر ؟
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
باوردتنا المفرقة ،
زجاجات شمبانيا في كوكتيل بنتاغوني ؟
صب لي فنجانا من قهوتك المره
من دموعك المره
من دمك المر
يا طانيوس شاهين ، انني عائد الى الموت
على ايقاعات الدبكة الدموية ..

تهبط دموعي في مطار بيروت الدولي
لتقدم اوراق اعتمادها
سفيرا للعذاب العربي ، للصودا الكاوية العربية
لا نلة من حرس الشرف
لا بساط احمر
لا باقة زهر عند سلم الطائرة ..
(غود مورنغ مستر سايكس)
(بون جور مسيو بيكو)
يدفع غضبي بقوات انزاله الصاعقة
على خليج جونه المنفرج
كفخذي قحبة
تنتظر رجال البحرية الاميركية
(بون جور مسيو بيير)

من هناك
من كومة الصفيح ، البريزيت والطوب العاري
من مخيم تل الزعتر
تخرج امي بملاءتها الفلسطينية
لتبحث عن جثتي في حي الفنادق الفخمة
تتمشى قليلا على كورنيش بيروت

لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم :
الجهة التي تشرق منها الشمس هي جهة الشرق !
لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم !
الليل ليل والنهار نهار !
لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم :
لبنان .. ارض عربية !
أما هؤلاء الحمقى
فيواصلون اطلاق نيرانهم
بالفرنسية .. طبعاً !
لن اقول :
اللبناني اخو الفلسطيني
لن اقول :
المسلم اخو المسيحي
لن اقول :
تآخينا هلالا وصليبا
لكنني اقول :

الثائر اخو الثائر !

بدفن غير حلقة

بلا حقائب ولا نقود

يستقل جبران خليل جبران اول طائرة

ويغادر موته عائدا الى لبنان

لان قوادي الفلاج

يسحبون سلماه الغالية من شعرها

ليبيعوها في نوادي نيويورك الليلية

قبل ان تهبط الطائرة

على مدرج النار في مطار بيروت الدولي

يصرخ جبران من قمة العالم :

ايها الخونة :

لن تكون سلماي راقصة بطن في بيغال

يرسمون شارة الصليب

ويصرخ جبران من قمة العالم :

ايها الخونة :

لا ترسموا شارة الصليب ، فانا ابصركم

تصوبون رشاشات يوضاس

الى صدر المسيح !

يظهر ويختفي

يتهمياً ويتلاشى

يشتعل ويخبو

لكنه ، على اية حال ، يظل هناك

ممتطيا جواده العربي الابيض

صائلا على فلول الجراجمة وقلاع الروم

يظل هناك ، ابدا في الابد ..

يظهر ويختفي

لكنه ... هناك !

يقرع بابي الاحمر في منتصف الليل

اصرخ من تابوتي (سجّوا جثماني ، سجّوا جثمان

الحب قديما !)

اصرخ : منذا ؟ منذا يقرع بابي الاحمر في منتصف

الليل

ادخل

او فارحل

(سجّوا جثماني ، سجّوا جثمان الحب قديما !)

لا تفرع بابي في منتصف الليل ..

ينفرج المصراعان ، تحدق في من الليل القاحل عينان

يهتز زجاج شبابكي المعتمة ، يمور ضريحي الفاخر

تصدي بالصرخة شمعات التابوت البيض ،

تدوي الجدران :

- اغريق يخشى من بلل ؟

يا هذا ! ادخل او فارحل

لكن لا تفرع بابي الاحمر في منتصف الليل .

لا يدخل ، لا يرحل . .

ولذا يهجرتي النوم الوداع ، يسكنني الضحو القاطع

كشفار سيوف الاجداد

واظل هناك ، جوادي الموت العالي

ممتطيا صهوته ، وعلى خاصرتي يهتز غضوبا

سيف من بين سيوف الاجداد

في كفي مقبض سيفي ، في كفي قائمة سجلت عليها

اسماء الاوغاد

يصلح جواد الياسمين ، يحممم بالقهر

تحين من فارسه التفاتة نحو ميناء بيروت

الجراجمة يحتطبون ارز لبنان الدهري

يحملونه مراكب صهيون

وينقلونه على البحر ارماتا الى تل ابيب

حيث يشيدون هيكلنا جديدا لسليمان

اما اعمدة الهيكل فأرز لبنان الدهري

اعمدة الهيكل اعمدة الحكمة المنهارة

اعمدة اللهب والدخان . .

امرأة محلولة الشعر

تهرع من « ساحة الشهداء »

تلطم صدرها العاري المدمى

وتمد ذراعها كحربتين نحو ميناء بيروت

حيث يحملون شهداء الارز

وينقلونهم ارماتا على البحر الى صهيون .

وعلى صخرة « الروشة »

يقف قدموس بكل محنته

يدبك دبكة الموت

يرتجف قليلا ويقذف بنفسه الى البحر . .

لا بأس يا سمك القرش

نحن اليوم من عائلة واحدة

لا بأس عليك !

((الاخبار)) اللبنانية

٢١ شباط ١٩٧٦